# إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ

قال تعالى { الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ } آل عمران : 173 معركة الأحد عشر يوماً التي شهدها العالم أجمع، لا تنتهي قصصها وأحداثها والفوائد والعظات والعبر منها. كانت من المعارك النادرة مع سرّاق الأراضي والأموال خلال العقود الخمسة الفائتة. ذلك أن تميزها وندرتها جاءت من قوة الصدمة على الصهاينة، الإسرائيليين منهم والعرب، بل كل من وقف معهم وظن أنها ككل المعارك السابقة أو – إن صح التعبير- معركة تحصيل حاصل، والنصر معروف سلفاً لمن سيكون. لكن ما حدث في تلك الأيام الأحد عشر، كان خارج التوقعات والحسابات. ما يدعوني وربما كثيرون مثلي للكتابة عنها مرات ومرات، هو ما حدث أثنائها وبعدها من أحداث وتفاصيل تدعو المرء إلى تأملها، وقراءتها والخروج ببعض النقاط التي أجد أنها تستحق الكتابة عنها، ومناقشتها واستخلاص الدروس والعبر منها. أكثر ما شدني إلى الكتابة عن بعض ما جرى خلال الأيام الأحد عشر بين جنود الرحمن وأعوان الشيطان، هو جرأة أعوان الأخير ومن يدور في فلكهم، وحماستهم وإصرارهم العجيب المريب، في دعوتهم لجند الرحمن إلى التوقف عن مقارعة ومنازلة الصهاينة، على اعتبار قوتهم العسكرية، وأن تلك المعارك عبثية تتضاعف بسببها مآسي ومحن أهل غزة ! قد تبدو للوهلة الأولى أن تلك الفئة المثبطة والمخذّلة، تنطق حقاً هو نتاج حكمة ودراية حياتية. لكن مع تدقيق النظر والتمعن في أقوالهم وأفعالهم، ستجد أن دوافعهم ليست سوى صناعة نوع من الوهن والتثبيط في نفوس العامة، والتركيز بشكل خاص على فل عزائم المؤمنين الصادقين عن مواصلة جهادهم ضد عدو الله وعدوهم.

## السيناريو نفسه يتكرر

ليس بالغريب ما يحدث الآن من تخذيل وبث الوهن في النفوس على أصعدة كثيرة، لاسيما بعد المعارك الحاسمة، سواء العسكرية أم الفكرية والثقافية وغيرها من حروب بين فريقي الحق والباطل. ففي السيرة العطرة لنبي الرحمة محمد – ﷺ – نجد المشهد يتكرر من بعد أن وقعت مشاهد مشابهة مع أنبياء الله الكرام، لاسيما أولي العزم منهم، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام. حيث كانت ردود أفعالهم هي نفسها لم تتغير، ولن تتغير مع أصحاب الحق والإيمان، في أي زمان ومكان. بعد أن أصاب المسلمون ما أصابهم في غزوة أحد ، وكثرة من استشهدوا وجرحوا يومها، غادرت قريش بزعمائها وفرسانها أرض المعركة، على غير عادة العرب حينذاك. إذ كانت العادات الحربية تقتضي بقاء المنتصر في ميدان المعركة عدة أيام، يحتفل خلالها كنوع من تبليغ رسالة إلى كل من وضع أو سيضع في حسبانه وحساباته، الاعتداء على المنتصر بأي نوع من أنواع الاعتداءات، حتى تبقى الهيبة موجودة حاضرة له. وهكذا كانت العادة. لكن في موقعة أحد ، غادر المشركون سريعاً أرض المعركة. ففي موقع ما بين مكة والمدينة، قال القرشيون لبعضهم البعض: لم تفعلوا شيئاً، وما أردفتم الأبكار، ولا قضيتم على محمد وأصحابه، فما صنعتم شيئاً. فهموا بالرجوع إلى المدينة، من أجل أن يستأصلوا المسلمين. أو هكذا زين لهم الشيطان أعمالهم. الرسول الكريم – ﷺ – لم يكن بالذي تغيب عنه مثل هذه التكتيكات الحربية. فلم تغب شمس ذلك اليوم واستراح المسلمون ليلتها، حتى نادى بالغد في كل من كان معه، أن يهيئ نفسه لمتابعة قريش وقتالهم من جديد، وردعهم من التفكير في غزو المدينة. وضرب لذلك موعداً يلتقي فيه مع قريش في موقع يقال له حمراء الأسد. ويبدو أن خبر ذلك الأمر المفاجئ وصل بصورة ما إلى أبي سفيان، قائد المشركين يومها، ومدى تأثير ذلك عليه ومن معه. ومن هنا يُفسر لجوء أبي سفيان إلى الإشاعات والحرب النفسية لأجل التوهين من عزائم المسلمين، الذين لم تبرئ جراحهم أو تبرد أجسامهم بعد، وذلك لأجل إحداث نوع من التردد عن الخروج مع الرسول الكريم ﷺ. واستخدم لذلك الغرض أناساً همهم المال، والمال فقط، كعادة كثيرين اليوم، ممن يتم استخدامهم لذات الأغراض، مقابل تأجير أقلامهم أو عقولهم للغير!

## حسبنا الله ونعم الوكيل

مرت قافلة من عبد القيس. فقال لهم أبوسفيان : أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة. قال: ولم؟ قالوا: نريد الميرة. قال: فهل أنتم مبلّغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها، وأحمّل لكم إبلكم هذه غداً زبيباً بعكاظ إذا وافيتموها؟ قالوا: نعم. قال: فإذا

هكذا كان جوابهم على من أراد الفت في عضدهم، وصناعة فتنة في صفوف المسلمين. قالوا جميعاً ما قاله من ذي قبل، خليل الرحمن وإخوانه من الأنبياء الكرام، في الأزمات والملمات العظيمة، ويصف القرآن هذه الحادثة بقوله تعالى (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل). ولن يخيب من يلجأ إلى الله في أزماته ومشكلاته ومصائبه. لم يهتم المسلمون بخبر إعداد قريش العدة لاستئصالهم هذه المرة، بل رغم ما بهم من جراحات وآلام، لم يدعوا الشيطان يفت في عضدهم ويوهن من إيمانهم وعزيمتهم، وقالوا جميعاً بصوت واحد، حسبنا الله ونعم الوكيل. إنه الشيطان – كما قال صاحب الظلال في تفسيره – الذي يضخم من شأن أوليائه، ويلبسهم لباس القوة والقدرة، ويوقع في القلوب أنهم ذوو حول وطول، وأنهم يملكون النفع والضر.. ذلك ليقضي بهم لباناته وأغراضه، وليحقق بهم الشر في الأرض والفساد، وليخضع لهم الرقاب ويطوع لهم القلوب، فلا يرتفع في وجوههم صوت بالإنكار ولا يفكر أحد في الانتقاض عليهم، ودفعهم عن الشر والفساد. والشيطان صاحب مصلحة في أن ينتفش الباطل، وأن يتضخم الشر، وأن يتبدى قوياً قادراً قاهراً بطاشاً جباراً، لا تقف في وجهه معارضة، ولا يصمد له مدافع، ولا يغلبه من المعارضين غالب.

## المعركة بيننا والعدو لم تقف بعد

إن القوة الوحيدة التي يراها المؤمنون الصادقون والتي أحق بأن تُخشى وتُخاف، هي القوة التي تملك النفع والضر، وهي بلا شك قوة الله، لا قوة الشيطان ولا قوة أوليائه. وإن ما يقوم به المرجفون والمثبطون والمنافقون على كافة صورهم، من بعد وقف العدوان على غزة العزة، هو التشكيك في جدوى المقاومة، والنيل من قادتها ومحاولات شق الصفوف وبث الإشاعات، بالإضافة إلى تضخيم قوة العدو وتصويرها على أنها لا تُقهر، في الوقت الذي تجد نقيض ذلك في إعلام ومجتمع العدو من يشيد بقوة المقاومة وتقهقر جيشهم الذي لا يُقهر، أمام ثلة قليلة العدد والعدة والخبرة العسكرية، مقارنة بجيشهم المدعوم من الشرق والغرب، والشمال والجنوب! إن التشويه المتعمد الحاصل الآن للحقائق، من قبل أقلام وأفواه عربية، على الفضائيات ووسائل التواصل الأخرى، وتحميل حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين مسؤولية ما يصيب غزة، لاشك أنه مؤثر على المزاج الشعبي العام، ولا ننكر أثر حملات التشويه في خلط المفاهيم والتشويش على العامة، وهم السند الحقيقي للمقاومة، بعد الله سبحانه. لكن هل نستسلم لذلك ؟ بالطبع لا. المعركة بيننا وعدو الأمة لم تنته بعد. فإن هي توقفت ميدانياً من الناحية العسكرية، فهي ما زالت مستمرة على أرض الواقع إعلامياً وسياسياً واقتصاديا. المعركة الإعلامية شرسة توجب على كل من لديه ذرة إيمان ألا يقف موقف المتفرج أو المشكك في جدوى المقاومة، فتاريخنا مليء بالنماذج. ولولا رعاية الله ثم صمود المماليك في مصر أمام جحافل المغول، والتصدي لهم، رغم التفاوت الكبير في العدد والعدة، ما انهزمت واندحرت تلك الجحافل المتوحشة. والأمر لابد وأن يتكرر بصورة وأخرى. هذا العدو ليس بأشرس من المغول، والمقاومة ليست أضعف همة وإيماناً من قطز وجنوده، رحمهم الله. إن التذكير بتلك الوقائع والنماذج، وسط هذا الركام البشع من الأراجيف والإشاعات العربية قبل الغربية عن المقاومة وجدواها، لاشك أنه باعث على الصمود واليقين بنصر الله القادم، فإن الله دوماً وابداً بكل جميل كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.